الحرب القبلية في بلاد المغرب الأوسط من القرن 07هـ إلى القرن 09هـ من خلال المصادر الوسيطية.

Tribal War in Central Maghreb From The 7th Centry Ah To The 09Th through Medieval Sources.

زيرار رضوان[1]*، بن داود نصر الدين [2]

[1] جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)، redouane.zirar.5582@gmail.com

[2] جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)، bend_nasr@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/07/06 تاريخ القبول: 2022/11/13 تاريخ النشر: 2022/12/31

ملخص:

تسلط دراستنا هذه الضوء على ظاهرة الحرب القبلية في المغرب الأوسط من خلال شهود مباشرين من مؤرخين وجغرافيين وفقهاء وغيرهم، عايشوا هذه الظاهرة وسجلوها بانطباعات متباينة تصب في سياق سردي أحيانا، وفي بعض الأحيان يغلب عليها التحيز والتحامل.

وعلى هذا الأساس فهناك من جعلها عادة متأصلة تدخل في إطار المألوف ، وما جرت به المقادير، والبعض اعتبرها من صنف البغي والفساد، أو وسيلة من وسائل الكسب، وهناك من ربط ظهورها بالانتكاسات التي عرفتها المنطقة.

ورغم هذا التباين إلا أن ظاهرة الحرب القبلية تبقى حاضرة بالقدم والشيوع والاستمرار، ولا يمكن تفسيرها في حيز ضيق على أساس عرقي أو ديني، بل لا بد من مقاربتها مقاربة علمية من خلال البحث عن العوامل التاريخية والاقتصادية والاجتماعية، وإعمال العقل قصد تبين أنساقها وفهمها فهما صحيحا.

كلمات مفتاحية: الحرب.، القبيلة.، المغرب الأوسط.، النوازل، الجغرافيا.

Abstract:

The present study focuses on the phenomenon of tribal war in the Central Maghreb through direct witnesses from historians, geographers and others who recorded this phenomenon with different impressions via a narrative context, and sometimes with bias and prejudice.

Therefore, there are those who make it an inherent habit that falls within the framework of the usual, and those who consider it a type of prostitution and corruption, and others relate its appearance to the setbacks that the region has known, and there are those who make it a means of earning. Despite this discrepancy, this phenomenon remains present in its oldness, prevalence and continuity, and it cannot be explained in a narrow space on an ethnic or religious basis. Instead, it must be approached scientifically through the search for historical, economic and social factors and the realization of reason in order to clarify its systems and understand them correctly.

Keywords: War; Tribe; Central Maghreb; Calamities; Geography.

***زيرار رضوان**

1. مقدمة:

إن المتأمل لتاريخ ظاهرة الحرب القبلية في المغرب الاسلامي عموما والمغرب الأوسط خصوصا يلحظ قلة المادة التاريخية وضعف المتوفر منها وضحالتها خاصة خلال فترة دراستنا هذه من القرن 07-09هـ/13-15م، رغم أن معظم قبائل المنطقة تركت لنا بصمات بارزة فيما يتعلق بمجريات التاريخ السياسي للمغرب الاسلامي.

لقد قدمت لنا بعض مصادر المرحلة معلومات لا تتجاوز بعض الإشارات والإيماءات الخجولة، والنتف المتفرقة الواردة بخصوص هذه الظاهرة سواء في مرحلة القبيلة أو في مرحلة الدولة تصب في سياق سردي لحركات السلاطين الى المجالات التي تتواجد فيها هذه القبائل، وفي بعض الأحيان يغلب عليها التحيز والتحامل فقد اعتبرتها قبائل مولعة بالحرب والقتل وتعيش السلب والنهب فوسمتها بالبغي والفساد وسفك الدماء والتطاول، وهناك من ربطها بالأزمات والانتكاسات التي عرفتها المنطقة.

تهدف دراستنا هده إلى إماطة اللثام عن ظاهرة الحرب القبلية من خلال استحضار أنساقها، وإبراز تمظهراتها سواء داخل القبيلة، أو في علاقاتها بغيرها مع القبائل الأخرى اعتمادا على مصادر المرحلة.

لقد اعتمدنا في دراستنا هذه على كل من المنهج التاريخي في جمع المادة ووصف الأحوال واستقراء الأحداث والمنهج المقارن في نقد المعلومات التي هي بين أيدينا وكذا المنهج الإحصائي في تطويع بعض المعلومات على شكل جداول وغيرها.

2. الحرب والقبيلة

لقد التفت ابن خلدون الى هذه الظاهرة فعالجها معالجة العالم الخبير بالياته التي سبقت عصره، فقد وضع يده على العصبية القبلية وتأثيرها في المجتمع، وقيام الدول ونصرتها فهي عنده النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة.[1]

وعليه فإن العصبية كرابطة اجتماعية سيكولوجية هي التي تمنح القبائل القدرة على المواجهة والانتقال بها من طور التشتت الى إطار أكثر اتساعا متمثل في نظام الحلف باعتبار أن هذه القبائل (أرزاقها في ظلال رماحها) ، لا تفرق بين ثروة الأرض والغنيمة، وهي بذلك ترتكز على أساس مهم وهي المصلحة المشتركة، أو كما يسميها ابن خلدون (المساهمة والمشاركة)[2]، أي المساهمة في السلطة السياسية، والمشاركة في الثروات الناجمة عن الغنائم[3].

وبتعبير أخر فإنهم يعتمدون على ما يوفره لهم اقتصاد المغازي[4]، من موارد حربية وبواسطة هذه الموارد نفسها تصل القبيلة الى السلطة، فتدعم أسس هذا الاقتصاد الذي أوصلها الى الحكم، وتجعله حجر الزاوية في توجهها، مكرسة بذلك البنية القبلية، والحاصل أن النظام القبلي ليس سوى انعكاس أمين لاقتصاد الغنيمة[5].

---

[1]–عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، 1431هـ/2010م، ص107.

[2]–المساهمة والمشاركة: تتجسد في المطالبة بالسلطة السياسية من طرف قبيلة أو اتحاد قبلي وذلك عبر عصبية بدوية تطعمها دعوة دينية، تنادي بإصلاح ديني، سياسي، اجتماعي وتطعن في الشرعية السياسية للدولة القائمة، وتسعى من ورائه الى تحقيق أرباح مادية، تتقاسمها القبائل السائدة والمكونة للاتحاد السياسي. ينظر: عبد اللطيف أكنوش ، د.ت، ص53.

[3]–محمد بن حسن، 1986م، ص13.

[4]–اقتصاد المغازي: يعرف عند المؤرخين الأوربيين باقتصاد الحرب، وباقتصاد الغزو عند الجابري، وباقتصاد الغنيمة عند هشام جعيط. ومهما تغيرت المسميات فهو يشمل الأموال والغنائم التي سلبت من العدو، وتعد موردا أساسيا لبيت المال، ويبقى عبارة عن نمط يدور في حلقة مفرغة ويعتمد على العمل العسكري وما تجنيه السلطة. وهو بذلك عبارة عن ثروات جاهزة تكسب بسهولة وتبدد بسهولة أكبر، ولا توظف في مشاريع استثمارية. ينظر: إبراهيم القادري بوتشيش، 2006م، ص11. عبد الكريم حساين، 2020م، ص566. رابح رمضان، 1435هـ/2016م، ص216.

[5]–إبراهيم القادري بوتشيش، 2006م، ص218.

وفي نفس الصدد يؤكد محمود إسماعيل على أنه ليس جزافا أن تكون سائر الدول التي تعاصرت أو توالت على الغرب الاسلامي دولا إقطاعية، كما أن اقتصادها كان نهبيا توسعيا اسماه البعض بحق اقتصاد المغازي[6].

ومثلما فرضت الأطروحة الخلدونية نفسها كمحاولة لتسليط الضوء على هذه الظاهرة ، فإن كتب النوازل على سبيل المثال كنوازل الونشريسي والمازوني خصصت فصولا من بينها سؤالا "عن قوم من قبائل شتى في الصحراء، يتغاصبون فيما بينهم وليس لهم مال غير ماشية"[7] ، كما خصصت نوازل المازوني فصولا عديدة للغصب كمفهوم قانوني، كما سجلت لنا النوازل توبة الناهب أو القاتل أو قاطع الطريق، والصلاح ظاهرة تقابل العنف والخشونة ، فالفقيه نجده في بعض الحالات يجمع شمل الجماعة ويوحد القرية وفي حالات أخرى يجسد الوالي عودة تنظيمات عتيقة تعاني من غلبة تنظيمات مستحدثة، وإذ يسيطر على القبيلة فإنه يكشف لنا البنية التي قامت بتعويضها[8].

كما استطاعت كتب المناقب أن تمدنا بمعلومات قيمة عن الحروب والنزاعات بين القبائل، حيث شكلت الكرامة نقطة ارتكاز أساسية في هذه المواجهة من خلال مشاركة هذه الفئة في العديد من القضايا ذات البعد الاجتماعي خاصة في حالة الحرب بإيواء الرعية في زواياهم والتهدئة من روعهم ورد الجيوش الغازية[9].

وفي هذا الشأن أورد المازوني نصا يبرز فيه إفشال الولي[10] أبي البيان واضح لحملة أمير بني توجين على مغراوة وملخص الحادثة أن محمد بن عبد القوي نزل بعدوة واد ارهيو تجاه زاوية الشيخ سيدي واضح طالبا الثأر من مغراوة قتلة ابنه زيان فهلع الناس منه وفروا إلى زاوية الشيخ مستجيرين به باكيين خائفين

---

[6]-محمود إسماعيل، د.ت، ص1296.

[7]-الونشريسي ، 1401هـ/1981م، ص542.

[8]- جاك بيرك وآخرون، 1988م، ص127.

[9]- كوثر بن قري، 2020م، ص89.

[10]- بخصوص الأولياء والصلعاء لا ينازعهم أحد في دور الوساطة، وسلطتهم بمثابة اعتقاد تحول لبعض الكائنات أو الأشياء قوة خارقة من مصدر إلهي، مما يجعلها تحظى بقيمة رمزية وبفعالية على مستوى الممارسات الاجتماعية، وكثيرا من الأحيان لا يتردد في استعمال انتماءات سلالات مبجلة من أجل الاستحواذ على الأرض وعلى الممتلكات ومن اجل الاتجار بالنقود. ينظر: جاك بيرك وآخرون، 1988م، ص26.

على أنفسهم وحريمهم ونهب أموالهم، فخرج سيدي واضح وقت الفجر وتضرع إلى الله أن يدفع شره عنهم، فأصيب محمد بن عبد القوي بوجع وانتفخ بطنه لدرجة أنه كان يصب من فمه ودبره، فنصحه بعض خاصته بترك الإغارة ونبهه إلى أن ما أصيب به هو بسبب غضب الولي الصالح عليه لما فعله مع جيرانه، فأرسل محمد بن عبد القوي فارسين إلى زاوية سيدي واضح وطلبا منه أن يرقي لهما ماء، فرقاه و أخذاه إلى أميرهم فلما شربه زال وجعه، فصعد إليه من الغد متذللا واستبشر الناس وأمنوا به[11].

وفي نفس الصدد فإن كتب الجغرافيا والرحلات استطاعت بدورها أن تمدنا بمعلومات هامة عن ظاهرة الحرب القبلية في المغرب الأوسط مثلما ذكره لنا الحسن الوزان عن جبل ونشريس بقوله:" في هذا الجبل قبيلة نبيلة بها حوالي عشرون ألف مقاتل منهم ألفين وخمسمائة فارس"[12]، أما مارمول كار بخال فلقد وصف لنا "سكان الجبال من بربر زناته كلهم شجعان، سلاحهم ولباسهم"[13].

إن الأرض هي التي تحدد مجال وموطن القبيلة وقد تكون عبارة عن مجموعة من المراعي كما هو الحال بالنسبة للقبائل المتنقلة [14]مثل بنو مرين الذين استوطنوا في البداية تيهرت وتلمسان ثم انتقلوا فيما بعد إلى الجنوب الشرقي من المغرب الأقصى حيث ينتجعون ويمتارون على عادة البدو[15] الرحل و الفريق الثاني بنو عبد الواد الذين استوطنوا المناطق الممتدة بين جبال سعيدة شرقا ووادي ملوية غربا وكانوا بدوا رحلا ينتجعون المراعي الخصبة بمواشيهم و يترددون على المدن للإمتيار[16].

---

[11]- المازوني ، 2017م، ص145-146.

[12]- الحسن بن محمد الوزان ، 1983م، ص45.

[13]- مار مول كار بخال، 1984م ، ص292.

[14]- إبراهيم القادري بوتشيش، د.ت، ص221. يقول المسعودي: " ملكوا الأرض ولم تملكهم،...فمن ملك قطعة من الأرض فكأنما كله له، يردون منها خيارها، ويقصدون ألطافها". ينظر: المسعودي ، 1425هـ/2005م، ص45.

[15]-البداوة: هي نمط من أنماط الحياة المجتمعية، توجد أو تسود بوجه خاص في المجتمعات البدوية القبلية أو العشائرية، محلية كانت أم قومية أو عالمية، وتعتبر ظاهرة البداوة بداية التكيف الاجتماعي لكل من الفرد والجماعة والمجتمع مع الظروف البيئية الصعبة والقاهرة التي أحاطت بمختلف وحدات المجتمع البدوي الذي يتميز بالبساطة وعدم التعقيد، فضلا عن تشابك العلاقات والنظم الاجتماعية وتعدد وظائفها. والبدو أقوى الناس همما وأشدهم أحلاما وأصحهم أجساما وأعزهم جارا وأحماهم ذمارا وأفضلهم جوارا وأجودهم فطنا. ينظر: محمد الخطيب، 2020م ، ص12. صلاح مصطفى الفوال، 2002م، ص281-282. المسعودي، 1425هـ/2005م، ص94.

[16]-عبد الوهاب بن منصور، 1388هـ/1968م، ص129-146.

لقد تطلعت قبائل زناتية أخرى من بني توجين ومغراوة على إحياء العرق الزناتي من جديد[17] وتسلم السيادة الزناتية على الساحة السياسية بعدما اضمحلت السيادة البرنسية المتمثلة في دولة بني عبد المؤمن وتحقق لهم ذلك على الأقل في بعض بلاد المغرب الأوسط[18] في المنطقة الممتدة من شمال الونشريس ووادي شلف إلى البحر لينتهي شرقا إلى وادي السبت قرب متيجة وغربا إلى البطحاء ناحية نهر مينا وتشمل جبال شاهقة وسهول خصبة ومدن عامرة منها مليانة و مازونة وتنس وبرشك وشرشال[19].

لقد ظلت مواطن مغراوة وتوجين منطقة صراع تداولت عليها القوتان الحفصية والزيانية إلى أن تمكنت هاتان القبيلتان من اقتطاع الملك ومقارعة الملوك والسلاطين وبسطوا نفوذهم[20]، وأسسوا فيما بعد إمارة مغراوة على يد أولاد منديل بشلف وبني توجين بالونشريس[21].

وبطبيعة الحال أن هذه التحركات البشرية المتقلبة الشديدة التنوع مردها أن كل طرف تأثر بمجموعة من التحركات المتباينة القائمة على التنافس واقتسام الثروات وإبعاد الخصم المنافس على الاستئثار به على الأقل والبحث عن تحالفات قبلية محدودة أو موسعة[22].

أما بخصوص معاشهم فهو قائم على النجعة والظعن عبر السهوب والفيافي، وكذا التنقل والترحال وعدم الاستقرار فيكادون ينتجون بأنفسهم كل ما يحتاجون إليه أي الضروري الأكيد ولذلك فهو اقتصاد استهلاكي ذاتي[23]، أي أن أغلبية الإنتاج يخصص لاستهلاك المجموعات العائلية ما يخزن من غلات وأقوات في مطامير عمومية ، وقليلا منه للتبادل في أسواق لبيع الفائض منه وشراء المستورد من البضاعة التي تتوقف عليها الحياة ومعظمها تتم عن طريق المقايضة لأن هذا النوع من الاقتصاد لم يكن يشجع استعمال النقود،

---

[17]- حسين مؤنس، 1412هـ/1992م، ص09.

[18]-بورملة عربية، 1430-1431هـ/2009-2010م، ص30.

[19]- مبارك بن محمد الميلي، د.ت، ص467.

[20]- عبد الرحمن ابن خلدون، 1431هـ/2000م، ص131.

[21]- بورملة عربية، 2009م/2010م، ص33. يقول محمود مقديش:" بين مدينة تلمسان وتاهرت تسكن قبائل من بني مرين وزيري وورنيد وماني وأومانو وسنجاسة وغمرة ويلومان ووروماكسين وتجين ووشفان ومغراوة وبني راشد وتطلاس ومنات وزقارة وكل هذه القبائل بطون زناتة وهم أصحاب هذه الفحوص وهم قوم رحالة ظواعن ينتجعون من مكان إلى غيره. ينظر: محمود مقديش، 1988م، ص88.

[22]-يقول محمد القبلي: أن قيام كل دولة يؤول في الواقع إلى انتصار تحرك بشري غالب يرمي إلى اتجاه معين غالب كذلك، ومعنى هذا أن لكل تحرك غالب تحركات مواكبة وأخرى مناوئة أو معارضة قد تختلف أهميتها باختلاف الظرفية والأحوال. ينظر: محمد القبلي، 1997م، ص ص41-80.

[23]- علي أومليل، 1985م، ص151. معاد بومنقار،1412هـ/2020م، ص62.

لان البدوي لم يكن دخله كبيرا، إذ كان ساكنا بمكان كاسد الأسواق في الأعمال التي هي سبب الكسب[24].

لقد سجلت لنا الإسطوغرافية الوسيطة جملة من الثوابت والمتغيرات التي قامت عليها قبائل بلاد المغرب الإسلامي، حيث كان لكل قبيلة محيطها الخاص الذي تعيش فيه وتتقلب منعزلة عن غيرها من القبائل أو شبيهة بالمنعزلة، فلها في حالة ما إذا كانت مستقرة ترابها[25]، وفي حالة ما إذا كانت راحلة مجالها الحيوي الذي تستميت في حماية حوزته وتمنع بحد السيف غيرها من القبائل أن تنتجع مراعيه أو تستقر فيه[26]، وفي هذا يصفهم ابن خلدون بأنهم :" وهم لهذا العهد أخدون من شعائر العرب في سكنى الخيام، واتخاذ الإبل وركوب الخيل والتغلب في الأرض وإيلاف الرحلتين، وتخطف الناس من العمران، والإباية عن الإنقياد للنصفة"[27]، وقد فسر تنقلهم الدائم بسبب الموقع الجغرافي الذي يسكنونه والذي لا يوفر لهم ما يحتاجونه طوال السنة[28]، حيث تحتم عليهم ضروريات الحياة التنقل والترحال، فهم لا يستوطنون بلدا، وإنما عيشهم على اللبن واللحم[29] متخذين الخيام مساكن لهم وحريصين على اكتساب الإبل والخيل[30].

إن حياة الترحال في بلاد المغرب عموما لم تظهر مع مجيء العرب، فمنذ العصور القديمة السحيقة[31] كانت تظعن بتلك الربوع قبائل بأكملها بحثا عن المرعى لماشيتها المتكونة من الغنم والبقر[32].

---

[24]– محمد بن حسن، 1986م، ص15. عبد الوهاب بن منصور، 1968م ص02. علي أومليل، 1985م ص151.

[25]– هناك حقيقة لا بد أن نقر بها ألا وهي صعوبة التحكم في الإقليم الزناتي لأن الإقليم أساس قيام الدولة وفي هذا الشأن يقول رياض عزيز:" إن كل أمة لا بد لها من وطن وهو منشأهم ومنه أولوية ملكهم". رياض عزيز، د.ت، ص94.

[26]– عبد الوهاب بن منصور،1968م، ص01.

[27]– عبد الرحمن ابن خلدون، 2000م، ص03. وهذا الشأن :" فتمة تشابه في أسلوب العيش بين زناتة والأعراب وحتى النزعة المتطرفة التي تميل إلى تجاهل حق الآخرين، والانسياق وراء الغزو، والإغارة على العمران والاعتداء على ممتلكات الناس، هي من خصائصهم أيضا مثل ما هو حال الأعراب".ينظر: بوزيان الدراجي، 2007م، ص243.

[28]–وفي هذا الشأن يقال:" إذا أجدبت السنة وأمحلت الأرض قوضت القبيلة خيامها وشدت رحالها تجوب البلاد طولا وعرضا باحثة عن المراعي الخصبة والبقاع الممرعة، تسير إليها ألاف الأميال لا تشكو تعبا ولا نصبا وتزاحم عليها روادها ولو أدى الأمر إلى القتال، إن كانت استكفت بنفسها ولم تستنجد بغيرها، وان كانت ضعيفة تحالفت مع قبيلة أخرى تكون في الغالب من دمها واستعانت بها على قهر عدوها وبلوغ مأربها". ينظر: عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ص02.

[29]– بوزيان الدراجي، 2007م، ص89.

[30]– مؤلف مجهول، د.ت، ص178-179.

[31]–وفي هذا الشأن يقول الجزنائي:" إن أول نزول للبربر في أرض المغرب من أرض فلسطين كان في الجبال والرمال والوهاد، لكونهم أصحاب إبل وغنم وبقر، يسكنون بيوت أدم وشعر". ينظر: علي الجزنائي، 1411هـ/1991م، ص08. ويقول المسعودي:" اختارت البربر سكن الجبال والأودية والرمال والدهاس

وبمقتضى الظروف الجديدة التي طرأت على المنطقة فإن علاقات القبائل فيما بينها كانت على نوعين: علاقات تحالف وتبادل عندما تكون لها نشاطات اقتصادية، وعلاقات صراع عندما تكون في تنافس للاستيلاء على المراعي ومراكز الماء، وكذلك المساهمة بالأرباح الزائدة العائدة من تجارة القوافل وعلاقات صراع أيضا عندما تحاول قبيلة أن تخضع لها قبائل أخرى سواء على حسابها الخاص أو على حساب الحكم الحضري[33].

وفي حالة غلبة هاته القبيلة للقبائل الأخرى فإنها حسب ابن خلدون تشارك أهل الثروة في ثروتهم فتأخذ حصتها بمقدار غلتها أي أنها تدخل كشريك قوي في مشروع اقتصادي كبير له تأثير حاسم على الوضع الاقتصادي العام للبلاد[34].

03.مستويات حضور الحرب القبلية في الفترة الوسيطة:

يرى أصحاب كتب الحوليات الحرب على أنها أمرا طبيعيا من حيث إثارة الأحداث الصاخبة والوقائع المدوية وارتباطها بمنظور التمدن الذي يحقر كل أعمال البدو من جهة ثانية.

فابن خلدون يعتبر الحرب خاصية في النوع البشري بقوله: "واقعة في الخليقة منذ برأها الله، وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض"[35]، وينظر إليها على أنها تدافع وانتقام[36]بين مختلف الطوائف والقبائل لكونها:" أمر طبيعي في البشر لا تخلوا منه أمة ولا جيل"[37].

إن ظهور الحرب القبلية بكثرة حسب التعبير الخلدوني بسبب اتساع المجال الجغرافي لزناتة وكثرة بطونها[38] ، حيث وصف ابن حوقل هذا المجال بقوله:" إذ البلاد التي تجمعهم والنواحي التي تحيط بهم

وأطراف البراري والقفار، ووصفهم بأن مساكنهم تناسب أخلاقهم في انخفاضها وارتفاعها فقال أخلاق قطانها على ما هي عليه من الجفاء والغلظة". ينظر: المسعودي، 2005م، ص49-95.

[32]- روبار برنشفيك، 1988م، ص160.

[33]- عبد القادر جغلول، 1987م، ص210.

[34]- محمد زنيبر، 1420هـ/1999م، ص275.وفي هذا الشأن يقول محمود إسماعيل:" أن دول الغرب الإسلامي تأسست وفق قانون الغلبة بين العصبيات المختلفة". بنظر: محمود إسماعيل، د.ت، ص1255.

[35]- عبد الرحمن ابن خلدون، 2010م، ص221.

[36]- سبب هذا الانتقام في نظر ابن خلدون يكون:" إما غيرة ومنافسة، وإما عدوان، وإما غضب لله ودينه، وإما غضب للملك وسعي في تمهيده" ينظر: ابن خلدون،2010م، ص221. ابن الأزرق ، 1429هـ/2008م، ص141.

[37]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

مسيرة شهور وشهور"[39]، هذا الاتساع في المجال خلق نوع من نمط العيش الغير متوازن للبدويين [40] مما دفعهم إلى التنقل والترحال مثلما وصفهم الإدريسي بقوله: " أنهم قوم ظواعن يرتحلون من مكان إلى مكان"[41] وكل هذا لأجل تأمين العيش، من خلال القيام بالعدوان للحصول على المغانم [42]فيكون "معاشهم فيما بأيدي غيرهم"[43]، فالحرب بالنسبة لهم حاجة بيولوجية وليست مسلكا سياسيا يتحرى السلطة والزعامة السياسية[44].

كما كان لهذه الظاهرة حضور في كتب الجغرافيا من حيث الوصف ، ووقعها في كتب الفقه والنوازل والتصوف وغيرها من المصادر الأخرى مثلما ذكره ابن سعيد بقوله:" وفي الإقليم الثالث وفي شماليه عيون تنحدر منه وتحتها مروج ينبت فيها حشيش كثير يرتاده البرابرة والعربان وتقع الحرب عليه"[45]، مما جعل هذه الأخيرة من أكثر الظواهر الاجتماعية حضورا وإن كانت تكتفي بمجرد الوصف دون العمل على استكانة أسبابها ودواعيها العميقة.

وفي نفس الصدد أجمعت مختلف المتون على أن القبائل البربرية مولعة بممارسة الحرب فمعظمها محاربة والوجود الاجتماعي القبلي موجود من أجل الحرب، مثلما أكد عليه الحسن الوزان حين قال:" حروب لا تنقطع، لكنها حروب أهلية لا تصيب الأجانب"[46].

وبالمثل تتحدث بعض النصوص عن شخص استفتى الفقيه ابن رشد(ت 520هـ-1126م):" في قوم من قبائل شتى يتغاصبون فيما بينهم، وليس لهم مال غير الماشية، وهذا الغصب المذكور فيما بينهم من قديم بين أبائهم وأجدادهم"[47]، ما يبين قدم الظاهرة.

---

[38]- شارل أندري جوليان، 2011م، ص200.

[39]- ابن حوقل، 1992م، ص107.

[40]-إن البداوة مكنت البدوي من أن يتجول في الأرض بحرية وغير عوائق ودون ما حاجة إلى أسوار تحميهم وترد عنهم كيد العدو"، "وهم يعشقون الحرب وسفك الدماء وهم أهل فطرة يبغضون الابتذال والتسفل". ينظر: المسعودي، 2005م، ص276. محمد الخطيب، 2020م، ص20.

[41]- الإدريسي، د.ت، ص111.

[42]- إبراهيم القادري بوتشيش، د.ت، ص218.

[43]- ابن خلدون، 2010م، ص221.

[44]- فؤاد إسحاق خوري، 1981م، ص76.

[45]-ابن سعيد المغربي، 1982م، ص127.

[46]- الحسن الوزان، 1983م، ص98.

ومن المؤكد أن الحروب والغارات بين قبائل زناتة الساكنين بالقفر أصبحت وسيلة من وسائل الكسب حيث لا تخمد واحدة إلا لتشتعل أخرى، وكان ذلك طبعهم كما وصفهم ابن أبي زرع:"(لا يعرفون الحرث ولا التجارات، ولا يشتغلون بغير الصيد والغارات، وجل أموالهم الإبل والخيل ودأبهم الحرب وخوضان الليل وشيمتهم إكرام الضيف، وضرب أعدائهم بالسيف"[48].

لقد كان قبيل بني عسكر الزناتي قبل القرن 07هـ/13م كما وصفه ابن أبي زرع:" يملك جميع بوادي زناتة حتى بلاد الزاب....وأذاق لمتونة وملوك تكلاتة الصنهاجيين[49] شرا كثيرا ولم يزل يغير في بلادهم تلمسان وبجاية والقلعة وغير ذلك من البلاد يهزمون وينهبون ويهزم الجيوش ويقتل الرجال، وكانوا يصانعونه ويهادونه ليسالمهم فكانوا معه على ذلك إلى أن انقضت دولتهم وغلبهم الموحدون"[50].

وفي السياق ذاته يذكر ابن خلدون أن قبائل زناتة من بني عبد الواد وبني مرين وغيرها كانت تعيش في حروب وتحالفات، فقد كانت:" بين بني عبد الواد وبني مرين منذ أوليتهم وتقلبهم في القفار فتن وحروب، ولكل منهما أحلاف في المناصرة وأشياع"[51].

ويؤكد في موضع أخر أنه:" كانت لهم في محاربة الأحياء والقبائل، ومنافسة الأمم والدول ومغالبة الملوك أيام ووقائع"[52].

كشفت لنا كتب النوازل ومصنفات المناقب أيضا عن مدى استفحال هذه الظاهرة التي أصبحت تدخل في إطار المألوف، وما جرت به العادة في الحياة القبلية إذ أصبحت جزءا مما:" جرت به المقادير

---

[47]- ابن رشد القرطبي، 1407هـ/1987م، ص1017.

[48]- المصدر نفسه، ص23.

تكلاثة : هي إحدى بطون صنهاجة البرنسية، كانت مواطنهم ما بين المغرب الأوسط وافريقية وهم أهل مدر.ينظر محمد بن عميرة، 1985م،ص243.
وحسب جورج مارسي فان أراضيهم تمتد بين تاهرت والزاب وتشمل مراكز مثل مليانة والمدية وحمزة. ينظر:

[49]-G.Marcais, p157.

[50]- ابن أبي زرع، 1921م، ص18.

[51]- عبد الرحمن بن خلدون، 2000م، ص397.

[52]- ويقول:" ولما تحيزت زناتة أمام كتامة صنهاجة اجتمع شعوب بني واسين هؤلاء كلهم ما بين ملوية، وتشعبت أحياؤهم وبطونهم، وانبسطوا في صحراء المغرب الأقصى والأوسط إلى بلاد الزاب وما إليها من صحاري افريقية إذ لم يكن للعرب في تلك المجالات كلها مذهب ولا مسلك إلى المائة الخامسة، ولم يزالوا بتلك البلاد مشتملين لبوس العز مشمرين للأنفة، وكانت مكاسبهم الأنعام والماشية وابتغاؤهم الرزق من تحيف السابلة وفي ظل الرماح المشرعة" ينظر: نفس المصدر، ص81.

وشهدت به العوائد "[53]، وكثيرا ما كان يسأل فقهاء العصر عن هذه الحروب مثل:" عن أهل بلد بينهم وبين جيرانهم حرب، ووقع بينهم القتل"[54]، كما استفتي الفقهاء :" عن قبيلتين من البربر اقتتلتا فأرادت إحدى القبيلتين أن تستعين بقبيلة أخرى على التي اقتتلت معها"[55].

وهذه الأجوبة للفقهاء تكشف لنا على أن الحرب أصبحت عادة متأصلة في بعض القبائل التي تتخذ منها حرفة لها.

ولا يفوتنا كذلك أن ننوه ببعض كتب المناقب التي ارتبطت أشد الارتباط بالأزمات الاجتماعية والاقتصادية والمذهبية والانتكاسات العسكرية والسياسية مثل كتاب: التشوف إلى رجال التصوف الذي ألفه ابن الزيات التادلي سنة 617هـ/1220م-1221م[56] والذي تناول فيه بعض كرامات المتصوفة كالتوسط في النزاعات القبلية، ازدياد الرفاه المادي لطبقة دون أخرى و تفاقم التباين الاقتصادي، احتكار السلطة وغياب العدالة الاجتماعية وغيرها من الأزمات[57]، يقول العزفي: "هذه الأدوار وغيرها كانت تمارس في فضاءات متعددة مساجد، رباطات، جبال، منازل، طرقات"، ثم يضيف قائلا: "إليهم يهرع العوام لتفريغ كربتهم، وهم ملجأهم الأخير لحل مشاكلهم، وبهم يستسقون ويستغيثون"[58].

فقد كان من عادة أبي يعزي أن يتدخل في "مفاتنة القبائل وتحزبهم للحروب وقتالهم للغوائل وغضبهم للعصبية"[59].

04.جرد لأهم العبارات التي اعتمدتها المصادر للدلالة على قدم ظاهرة الحرب القبلية واستمرارها:

[53]- أبو العباس العزفي، 1989م، ص41.

[54]- الونشريسي، 1401هـ/1981م، ص518.

[55]- المصدر نفسه، ج06، ص81.

[56]- جاء في كتاب المستفاد أن تأليف كتاب التشوف لابن الزيات تزامن مع ظروف مضطربة كان يمر بها المغرب صادفت الجراد والقحط والغلاء الشديد وهزيمة الموحدين في معركة حصن العقاب بالأندلس سنة 609هـ/1212م، ولقد أشار إليها محقق الكتاب عندما كتب:" وهناك عناصر لا بد من إدخالها في الاعتبار عند التعرض لظرفية تأليف كتاب التشوف عناصر يرتبط بعضها بوقائع ذات صدى عميق مثل هزيمة العقاب". ينظر التميمي، 2002م، ص226.

[57]- إبراهيم القادري بوتشيش، 1994م، ص107.

[58]- التميمي،2002م ،ص215-217.

[59]- العزفي، 1989م، ص41.

القبيلة والمجال	العبارة	المصدر والصفحة
أهل القفار من البدو	فهم دائما يحملون السلاح.	ع.ابن خلدون، 2010، ص104.
قبائل الصحراء	"أرزاقهم في ظلال رماحهم، ومعاشهم فيما بأيدي غيرهم".	المصدر نفسه، ص211.
قبائل زناتة	فوقعت بينهم(بني مرين) وبين عبد الواد وبني واسين حرب بسبب امرأة فافترقوا.	ابن أبي زرع الفاسي، 1921م، ص24.
قبائل زناتة	جبل ولهاصة تسكنها قبيلة عاتية كثيرا ما حاربت أهل هنين.	الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص44.
قبائل الصحراء	قوم من قبائل شتى في الصحراء يتغاصبون فيما بينهم وليس مال غير الماشية.	ابن رشد القرطبي، 1987م، ص1017.

وعلى نفس الشاكلة تتقارب أوصاف المؤرخين والجغرافيين عن قوة هذه القبيلة وشراسة تلك، ويتعدى ذلك إلى وصف بطولات وشجاعة أفرادها من حيث القوة الجسمانية، والقدرة على المخاطرة والتضحية[60]، والمعرفة بأساليب الحرب وكثرة عدتهم وعددهم وبعدهم عن هضمة الأحكام وذل المغارم[61]. وتجدهم فخورين بالأسلحة التي يحملونها والتي تشكل رمزا لحريتهم الفعلية أو الوهمية[62]، وفي هذا الشأن يصفهم ابن خلدون بقوله:" قد صار لهم البأس خلقا والشجاعة سجية يرجعون إليها متى دعاهم داع أو استفزهم صارخ"[63].

[60]- يقول الجابري: سكان البوادي يختلفون من حيث صفاتهم المعنوية كالأخلاق والطباع والعادات وأحوالهم الجسمية كالألوان واختلاف نحلتهم من المعاش. ينظر: محمد عابد الجابري، 1994م، ص259.

[61]- عبد الرحمن ابن خلدون، 2000م، ص82-170-337-357.

[62]- إيف لاكوست، 2017م، ص59.

[63]- عبد الرحمن ابن خلدون، 2010، ص104.

تعتبر هذه المقدرات والمؤهلات ضرورية لأي قبيلة، إذ بمقدور ما تتوفر عليه من محاربين أقوياء وشجعان يتسع نفوذها وتعظم هيبتها، وتستطيع الوقوف في وجه المغيرين من أبناء القبائل الأخرى، أو من أنصار الأسرة الحاكمة[64].

وهذا يدل على أن الدفاع عن النفس أصبحت عادة لا تفارقهم في كل زمان ومكان و مهما كان الخصم وهذا يؤكده العمري بقوله:" بعض أبطال العرب أنه إذا كان منا مائة ولاقاهم زناتي واحد هربوا أمامه، ولم يتحاسروا على إقدامه ولا ملاقاته.قال: إذا جاء الزناتي مغيرا فلا يعتقد أن أحد يهجم عليه"[65].

جعلت بعض الروايات المشرقية أن العدوان والغزو والغارات ونشر الفتن عادات متأصلة في البشر وربطوها بالبربر على وجه الخصوص ويكفينا ما قاله القزويني عنهم بقوله:" هم أحفى خلق الله وأكثرهم بطشا وأسرعهم إلى الفتنة وأطوعهم لداعية الضلالة ولهم أحوال عجيبة واصطلاحات غريبة، سول لهم الشيطان الغوايات، وزين لهم أنواع الضلالات"[66].

نفس الوصف ذكره المسعودي عن سكان بلاد المغرب بقوله:" وفي أهله غدر، ولهم خبث ومكر. ديارهم مختلفة وهممهم غير مؤتلفة، ولديارهم في أخر الزمان نبأ عظيم وخطب جسيم. من أمر يظهر، وأحوال تبهر"[67].

وفي نفس الصدد فإن القلقشندى وصف البربر سكان الإقليم الثالث بقوله:" والإقليم الثالث هو صاحب سفك الدماء، والحسد، والحقد، والغل، وما يتبع ذلك"[68].

أرجع البعض الأسباب العميقة وراء هذه الحروب القبلية إلى التدهور الاقتصادي العام والشامل والذي انعكس على المستوى المعيشي المتميز بالرتابة التقنية والتطور البطيء، ويلخص أحد الدارسين هذا التدهور بقوله:" ابتليت بلاد المغرب بمحن عديدة إبان القرون الثلاثة الأخيرة من العصر الوسيط، من

---

[64]- محمد عابد الجابري، 1994م، ص24.. وفي هذا الشأن يقول أن القبيلة كانت عبارة عن جيش يعيش دوما على أهبة القتال، وإلا سقطت بين عشية وضحاها فريسة في يد المغيرين، فيضمحل كيانها وتصبح تابعة وأحيانا مندمجة في الكيان القبلي المتغلب عليها. ص224.

[65]- ابن فضل الله العمري، 2010م، ص27.

[66]- القزويني، د.ت، ص163.

[67]- المسعودي ، 2005م، ص49.

[68]- القلقشندى، 1333هـ/1915م، ص178.

تفكك الوحدة السياسية وانتشار الاضطرابات والمجاعات وظهور الوهن الديموغرافي وإهمال الفلاحة وسيطرة البداوة والترحال[69].

لقد اتسمت هذه الثورات بالطابع القبلي إلا أنها انطوت على أسباب اقتصادية قحة، تقترن غالبا بنقص في موارد العيش بسبب عوامل طبيعية كالجفاف، أو بتدخل السلطة (جمع الضرائب والمغارم)، أو متعلق بمراقبة طرق الذهب وهكذا مثلا كان أحد مشاغل المرينيين وبنو عبد الواد خاصة في المدن التي تحط فيها قوافل السودان، دون إهمال قيام دعوة دينية إصلاحية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر مثلما جرى مع (المرابطين والموحدين في السابق)[70].

إن القليل الذي نعرفه على هذه القبائل الزناتية الإسلامية قبل القرن 07هـ/13م، يخول لنا أن نحسب أنهم لم يحفلوا بانتصار مذهب ديني بقدر ما اهتموا بالاستيلاء على الأراضي والغنائم[71].

احتقرت بعض النصوص التي أرخت لتلك الحقبة ظاهرة الحرب القبلية واعتبرتها من صنف البغي على الأمير[72] أو الدب في الأرض فساد ووصفتها بالهرج[73]، فضلا عمن أدخلها في صنف الصراع العصبي والتحزب للغوائل والعصبيات[74]. وهناك من نعتهم بالغلظة والجفاء والجهل والقهر والإرهاب[75]، وبأهل

---

[69]- محمود إسماعيل، د.ت، ص1197-1198-1201.

[70]- لقد أقام البربر الصحراويين دولة المرابطين لفائدتهم الخاصة دون أن يشركوا الشعوب وتافيلات و الزحف نحو الشمال لتجربة حظهم بالاستقرار في أراضي أصلح من أراضيهم السابقة، ويبدوا أنه لم تكن لديهم مطامح سياسية في البداية بل كانوا يسعون إلى تحسين أحوالهم المعيشية
تلك الجماعات الثائرة انتهجت سياسة الغزو المنظم والثورة الدائمة إلى أن انتهى بهم الأمر إلى الإجهاز على الدولة القائمة وتأسيس دول جديدة سرعان ما دخلت في طور الحضارة، ومن ثمة في أزمة اقتصادية تموى بهم إلى التلاشي والإضمحلال الخاضعة لإداراتهم في الحكم، فإن قبائل مصمودة أقامت إمبراطورية لمصلحتها الخاصة والشعوب الأخرى المغلوبة بقيت في حالة خضوع دائم، كانت هذه القبائل تعترف برئيسها على أنه يتمتع بسلطة دينية ولكن بعد تحول نظام الحكم إلى ملكي وراثي، فإنه لم يعد اختيار السلطان راجعا إلى ما يتحلى به من صفات دينية بل إلى القرابة، ولم يعد الاعتراف به منوطا بعهدة القبائل. ينظر: روجي لي تورنتو، 1982م، ص119-120.ايف لاكوست، 2017م، ص42.

[71]- الفرد بل، 1987م، ص308. يقول الجابري:" إن الغنيمة هي التي تحكم في نهاية التحليل مفعول القبيلة، فالقبيلة معزولة عن الغنيمة مقولة مجردة وقالب فارغ، ينظر: محمد عابد الجابري، 2000م، ص98.

[72]- لسان الدين بن الخطيب، 1401هـ-1981م، ص07.

[73]- ابن الخطيب، د.ت، ص110.

[74]- العزفي، 1989م، ص41.

[75]-يقول الحسن بن عبد الله" فيهم الصبر على الشقاء والإقدام على الموت والحروب وهم أهل غلظة وجفاء وجهل". ينظر: الحسن بن عبد الله، د.ت، ص 147.

البغي والفساد[76].وللتقليل من سكان بلاد المغرب قال في موضع آخر:" أهل المشرق أشجع من أهل المغرب"[77].

لقد كتبت عن زناتة من زاوية الكيانات السياسية القائمة وقتها، وتنظر بعين حكامها، فوصفتها بالخارجة على السلطة القائمة[78]، ونعتتها بأكثر القبائل تمردا على الدول القائمة في بلاد المغرب الإسلامي[79]. وما يؤكد هذه النزعة الثورية عند زناتة، قول بلكين بن زيري بعد انتقامه لمقتل أبيه زيري" لا أمان عندي لبربري ركب فرسا أو نتج خيلا أبدا حيث ما سلك من البلاد" [80]وهو يقصد زناتة.

اعتبر أصحاب المدرسة التاريخية الاستعمارية أن الزناتيين عامل تفكك وانقسام في بلاد المغرب وأن بوادر التوحيد بين البتر والبرانس ظلت دائما مقوضة نتيجة الانفجارات العنيفة التي أحدثها فوضى زناتة.[81]

وذهبت تلك الدراسات بعيدا في تأويلاتها عندما حكمت على مغرب ما بعد الموحدين بأنه سائر إلى البداوة بسبب سيطرة زناتة على كياناته السياسية في المغربين الأوسط والأقصى، وذهبوا إلى أن زناتة أمة قائمة بذاتها وبالغوا في تميزها عن باقي القبائل البربرية، وربما كان هذا التأويل الاستشراقي نابع من اعتبار قابلية القبائل الزيانية للتعريب أكثر من غيرها[82].

أخذت هذه الأقلام الاستشراقية أبعادا أخرى عندما أسقطتها على ثنائية (البربر والعرب) وثنائية (الجبل والسهل) و(المستقر والمتنقل)، مع ما تقيض به تلك الدراسات من روح قائمة على الفصل وإبراز الاختلاف والخلاف[83].

---

[76]- ابن الأثير ، 1407هـ/1987م، ص329.

[77]- الحسن بن عبد الله، د.ت، ص148

[78]- يحاول بعض الباحثين تفسير المسار الثوري لزناتة طيلة عقود، بان مستوى التدين عنها كان سطحيا. ينظر: الياس حاج عيسى، 2020م، ص188.

[79]-إن عدم الانقياد هو طبع عرف بها البربر طيلة تاريخهم، لم يكن مظهرا مطلقا، فإنهم خضعوا إلى قواعد تحدد علاقاتهم في مستويات ضيقة، مثل علاقات الأسر بعضها ببعض. ينظر: ألفرد بل، 1987م، ص53.

[80]- مجهول، 2005م، ص112. ابن عميرة محمد، 1985م، ص261.

[81]- محمد بن حسن، 1986م، ص24.

[82]- إبراهيم القادري بوتشيش، د.ت، ص24-25.

[83]- محمد نجيب بوطالب، 2002م، ص133.

من المستغرب أن نجد بعض رواد المدرسة الاستعمارية يقولون أن تاريخ المغرب كان مجرد صراع مستميت بين القبائل وأن ذلك يدخل في خضم الفوضى التي تميزه[84]، غير أن ما ميز هذا الصراع هو عبارة عن غزو متبادل من خلال قيام القبائل المستقرة بتوفير الأغطية و الحاجات الفلاحية كالزيت والتين، مقابل توفير القبائل البدوية للحيوانات كالصوف والوبر والحماية للمستقرين أمام الغزاة الذين يهددون ممتلكاتهم[85].

يقول عبد الله العروي:" أجرى المؤرخون الاستعماريون أحكاما سلبية على تاريخ بلاد المغرب فقالوا إنه تاريخ ناقص، متعثر، دوراني. وقالوا إنه تاريخ غامض، تاريخ قبائل متناحرة"[86].

وفي نفس الصدد يقول عبد الحميد حاجيات في مقال له حول موقف المدرسة الغربية من تاريخ الجزائر في العصر الوسيط ص68 : "أن معظم الكتابات التزمت المنهجية العلمي، لكنها لم تسلم من تأثير نظريات مؤرخي الاستعمار، أو بما يعرف التحيز التاريخي، مغتنمين فرصة قلة المعلومات بالنسبة للفترات القديمة، فسمحوا لأنفسهم بتقديم افتراضات معتمدين على أدلة واهية تحمل طابع التعصب والتحيز".

إن المتمعن في هذا النوع من الدراسات نجددها مليئة بالأحكام السلبية، المبنية على مفاهيم مسبقة، فمعظمها لم تكن بعيدة عن سياق التنظير للنزعة الاستعمارية الفرنسية على شمال إفريقيا والتبرير لها.

05.الخاتمة:

خلاصة القول أن الصراعات القبلية لازمت القبائل في ظروف تكاد بنيوية، تبرز تمظهراتها داخل القبيلة الواحدة عندما يشعر أفرادها أن الرئيس فوقهم وليس معهم في الحقوق والواجبات، يثورون ضده فيزول ذلك الالتحام المادي أو غير مادي فتتناقص تلك القوة وتهدر وتستهلك مع الأيام، أو في حالة إقصاء عائلة متفوقة من طرف عائلة منافسة، والنزاع المفضي بين أفراد المجموعة المسيطرة والمؤدي أحيانا إلى انقسام القبيلة.أما بخصوص علاقاتها مع القبائل الأخرى فإنها كانت قائمة على أساس الحماية والمدافعة

[84] Gautier (E.F), , 1964. Pp.201.224.

[85]-محمد نجيب بوطالب، 2002م، ص134

[86]- عبد الله العروي، 1996م، ص14.

والمطالبة لأجل تأمين قوتهم عن طريق القيام بالغارات والعدوان للحصول على الغنائم، وهذا بمثابة نمط إنتاج جاهز وظرفي .

لقد أجمعت كل مصادر المرحلة على أن الحرب القبلية ظاهرة حاضرة بالقدم والشيوع والاستمرار ، ولا يمكن تفسيرها في حيز ضيق على أساس مذهبي أو عرقي أو عنصري أو ديني بل لا بد من مقاربتها مقاربة علمية من خلال البحث عن عواملها الموضوعية سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو تاريخية ، وإعمال العقل قصد تبين أنساقها.

06.قائمة المصادر والمراجع:

المؤلفات:

1. أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي المتوفي بفاس سنة 914هـ،1981م، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والأندلس والمغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط، المغرب.
2. Maurice Godelier,2010 - ,[1] les Tribus dans l'histoire et face aux états(paris. CNRS éd, France).
   - علي أومليل،1985م، الخطاب التاريخي- دراسة لمنهجية ابن خلدون، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
   - أبي الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي(520هـ-1126م)،1987م، فتاوى ابن رشد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
3. la berbérie musulmane et l'orient au moyen âge,G.Marcais .
4. le passé de l'afrique du nord. Paris, Françe., Gautier (E.F),1964
5. إبراهيم القادري بوتشيش،د.ت، تاريخ الغرب الإسلامي- قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
6. ابن الخطيب، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب.
7. ابن خلدون عبد الرحمن،1431هـ/2010م، المقدمة، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر.
8. ابن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحي (ت 749هـ)، 2010م، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان.
9. ابن قزمان القرطبي(555هـ-1160م)،1415هـ/1995م، ديوان ابن قزمان القرطبي(إصابة الأغراض في ذكر الأعراض)، المجلس الأعلى للثقافة العربية، القاهرة، مصر.
10. أبو العباس العزفي(557هـ-633هـ)،1989م،د.ت، دعامة اليقين في زعامة المتقين، مكتبة خدمة الكتاب، الرباط، المغرب.
11. أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بان الأثير الجزري الملقب بعز الدين المتوفي سنة 630هـ، 1407هـ/1987م، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
12. أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت346هـ/957م)، 2005م، مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
13. أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي، 1982م ، كتاب الجغرافيا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

14. أبي العباس أحمد القلقشندى،1333هـ/1915م، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، مصر.
15. أبي القاسم بن حوقل النصيبي، 1992م، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
16. أبي عبد الله ابن الأزرق (ت896هـ)، 2008م، بدائع السلك في طبائع الملك، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،
17. أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفارسي(ت 603هـ أو 604هـ)،2002م،د.ت، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تيطوان، المغرب.
18. أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي،1986م، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر.
19. الإدريسي،د.ت، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ليدن المحروسة لمطابع بريل، لندن، انجلترا.
20. إسماعيل محمود، د.ت، سيكولوجية الفكر الاسلامي-طور الانهيار-ا الخلفية السوسيولوجية- سنا للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
21. أكنوش عبد اللطيف، د.ت، تاريخ المؤسسات و الوقائع الاجتماعية بالمغرب، مطابع إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب.
22. إيف لاكوست،2017م، العلامة ابن خلدون، دار الفارابي، بيروت، لبنان.
23. بوبريك رحال، 2012م، القبيلة(السلطة وتدبير العنف في المجتمع الصحراوي)، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب.
24. بوتشيش إبراهيم القادري، 2006م، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الاسلامي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
25. بوزيان الدراجي،2007م، القبائل الأمازيغية، دار الكتاب العربي، الجزائر.
26. جاك بيرك وآخرون، 1988م، الانثروبولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب.
27. جبور جبرائيل، 1988م، البدو والبادية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
28. الحسن بن عبد الله، أثار الأول في ترتيب الدول، د.ط، د.ت.
29. حسين مؤنس،1412هـ/1992م، تاريخ المغرب وحضارته، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
30. روبار برنشفيك، 1988م، تاريخ إفريقية في العهد الحفصيين القرن13 إلى نهاية القرن15م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
31. روجي لي تورنتو،1982م، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني والثالث عشر، ترجمة أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس.
32. زكرياء بن محمد بن محمود القزويني،د.ت، أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان.
33. شارل أندري جوليان،2011 م، تاريخ إفريقيا الشمالية، مؤسسة تاوالت الثقافية .
34. صلاح مصطفى الفوال، 2002م، علم الاجتماع البدوي- التأصيل النظري- دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
35. عبد الرحمن ابن خلدون (732هـ-808هـ/1332-1406م)،1431هـ/2002م، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
36. عبد القادر جغلول،1987م، الإشكاليات التاريخية في علم الاجتماع السياسي عند ابن خلدون، بيروت، لبنان.
37. عبد الله العروي،1996م، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.
38. عبد الوهاب بن منصور، 1388هـ/1968م، قبائل المغرب، المطبعة الملكية الرباط، المغرب.
39. علي ابن أبي زرع الفاسي،1921م، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، طبعة جول كربونل، الجزائر.
40. علي ابن أبي زرع الفاسي،1972م، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب.
41. علي الجزنائي،1991م، جنى الأس في بناء مدينة فاس ، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب.
42. الفرد بل،1987م، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
43. كار بخال مارمول، 1984م، إفريقيا، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب.

44. لسان الدين بن الخطيب، 1401هـ/1981م، ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
45. المازوني أبو عمران موسى بن عيسى ت (833هـ-1431م)،2017م، مناقب صلحاء وادي الشلف، مكتبة الرشاد، الجزائر.
46. مبارك بن محمد الميلي،د.ت، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
47. مجهول،2005م، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق، عبد القادر بوباية، الرباط، المملكة المغربية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط01، 2005م، ص112
48. محمد الخطيب، 2020م، علم الاجتماع البدوي، دار علاء الدين للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا.
49. محمد القبلي،1997م، الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط علائق وتفاعل، دار توبقال للنشر، الرباط، المغرب.
50. محمد بن حسن،1986م، القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، دار الرياح الأربع، تونس.
51. محمد بن عميرة،1985م، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
52. محمد زنيبر،1999 م، المغرب في العصر الوسيط: الدولة-المدينة-الاقتصاد ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب.
53. محمد عابد الجابري، 2000م، العقل السياسي العربي-محدداته وتجلياته- مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
54. محمد عابد الجابري،1994م، العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994م.
55. محمد عابد الجابري،1994م، فكر ابن خلدون العصبية والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية،، بيروت، لبنان.
56. محمد نجيب بوطالب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
57. محمود مقديش،1988م، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان.
58. مؤلف مجهول،د.ت، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الدينية، بغداد، العراق.
59. الوزان الحسن بن محمد، 1983م، وصف إفريقيا ، بيروت، لبنان.

الأطروحات:

1. بورملة عربية،1430-1431/2009-2010م، إمارة بني توجين بالونشريس خلال القرنين(07-08هـ/13-14م) من خلال كتاب العبر الرحمن ابن خلدون، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر.

المقالات:

2. عبد الكريم حساين،2020م، حضور الانثروبولوجيا الدينية في كتابات إبراهيم القادري بوتشيش: حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الاسلامي – نموذجا- مجلة اثتربولوجيا الأديان، جامعة تلمسان، الجزائر، ص566.
3. رابح رمضان،1435هـ/2016م، اقتصاد الحرب و المغازي وأثاره بالاندلس خلال فترة الفتح والولاة، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الوادي، الجزائر، ص216.
4. رياض عزيز، الدولة ونشوئها عند ابن خلدون مجلة العلوم السياسية، العدد37، بغداد، العراق، ص94.
5. كوثر بن قري، الولي في المغرب الأوسط في مواجهة السلطة والحروب والنزاعات- قراءة في كتابة مناقب صلحاء وادي الشلف- مجلة المعيار، الجزائر، ص89.
6. عبد الله حمودي، الداخلي والخارجي في التنظير للظاهرة القبلية خطوة في طريق تأسيس خطاب انثر وبولوجي مستقل، مجلة العمران، المغرب، ص18.
7. معاد بومنقار، زناتة المغرب الأوسط بين مشروع تأسيس دولة قوية والاصطدام بفشل السلطة السياسية ما بين القرنين(02-04هـ/08-10م)، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، الجزائر، ص62.